Conference Proceedings: Enhancing the Role of Islamic, Social, and Human Studies in Building Society, Volume 23, July 2026.

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502

Journal Of the Iraqia University

available online at

https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

احياء العلوم في المنظور القرآني (دراسة موضوعية)

م.د أنمار عداي محمود عباس

وزارة التربية / تربية صلاح الدين / قسم تربية الدجيل

The concept of ease and its causes in the Qur'anic perspective (objective study)

M.D. Anmar Aday Mahmoud Abbas

Ministry of Education / Saladin Education / Dujail Education Department

E-MAIL : Anmarday 805@gmail.com

الملخص:

القرآن الكريم هو كتاب الله عز وجل الذي يعد مصدر هداية وعلم ومعرفة لكل شيء، وهو ليس مثل الكتب السماوية الأخرى، إذ أنه يتضمن وصفاً كاملاً لنظام الحياة في كافة المجالات التي يحتاجها الإنسان سواء العلمية أم الروحية أم السياسية أم الاجتماعية أم الاقتصادية، ويتضمن توجيهات وتعليمات تصلح لكل مكان وزمان ولكل أمة من الأمم البشرية، على هذا الأساس فإن شريعة الإسلام تعد من أعظم الشرائع التي اتسمت بسمة العلم من أجل أن يعي البشر عيشة خالية من الجهل ، على وفق مبدأ نشر العلم ومحاربة الجهل لتنظيم حياة الناس في كافة جوانبها الكلمات المفتاحية: (القرآن الكريم، السنة النبوية، العلم).

Summary:

The Holy Koran is the Book of God Aziz and Jall, which is the source of gift, science and knowledge for everything, and is not the same as other celestial books, as it contains a complete description of the life system in all areas that man needs, whether scientific, spiritual, political, social or economic, and includes guidance and instructions that are fit for every place, time and nation of mankind.

الأسباب التي دعت إلى هذه الدراسة؟

١ – إثبات أنَّ علوم القرآن الكريم ومعارفه لا تنتهي.

٢ – إثبات أنَّ أول كلمة خاطب الله تعالى بها نبيه صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ هي "اقرأ".

٣ – بيان أنَّ أساس هذا الدين هو العلم.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيد الأولين والآخرين أبي القاسم محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فهذا بحث آمل أن ينال التوفيق في إبراز دور القرآن العظيم في إحياء العلوم في المجتمع، فقد حرص القرآن الكريم على تأسيس دعائم العلوم في المجتمع الإسلامي، وقد نجد ذلك جلياً في المجتمع الإسلامي الأول عندما كان يستظل بظل الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ، وهو يثبت دعامات العلم في قلب المجتمع، وقد سار الصحابة على النهج النبوي العظيم، وكذا سار العلماء على ذلك، فتركوا لنا ثروة كثيرة من المؤلفات في جميع العلوم وألوانه، وقد تتمايز العلوم عند المسلمين عن باقي الأقوام والشعوب، وهو أن العقيدة الإلهية لها الأثر العظيم في توجيه تكلم العلوم وبثها في المجتمع، لذا فإننا وجدنا آيات كريمة عدة أفضت عن أهمية العلم في العقيدة الإسلامية، وكذا السنة النبوية المطهرة، غير أن أحوال المسلمين بدأت بعد قرون عدة بالتراجع عن العلوم لأسباب عدة، ومن المحال على مسلمي اليوم البقاء على هوامش العلوم، والتخلي عن مقاصد الشريعة بالنسبة للعلوم، لذا فإن هذا البحث سيدرس جوانب مهمة في بيان شرف العلم والتعلم، والمنظور القرآني للعلم والتعلم، وإحياء العلوم منذ التنزيل الأول، ليستمد المجتمع الإسلامي من ذلك ديمومة الحفاظ على العلم والتعلم، وقد عمدنا إلى طرح مشروع إيقاظ ضمير المسلمين حيال

العلم والتعلم ونشر الثقافة.وقد قسمت دراستي إلى مبحثين: فأما المبحث الأول فكان بعنوان: المنظور القرآني للعلوم وألوانها، وأما المبحث الثاني فبعنوان: حاجة المجتمع الإسلامي اليوم إلى العلوم وألوانها.

أسباب اختيار موضوع البحث:

١ – الرغبة في التعرف على كتاب الله العزيز ودلالاته وفوائده .

٢ – الاستقراء لبعض آراء للمفسرين في مسألة العلم من خلال تفسير بعض الآيات التي تتحدث عن العلم.

٣ – بيان نظرة القرآن الكريم للعلم.

أهداف البحث:

١ – المعرفة التامة بنبوة خاتم النبيين – صلى الله عليه وآله وسلم – ، والإيمان بذلك عن علمٍ ودراية، وأنَّهُ سيد المعلمين صلى الله عليه وسلم.

٢ – إثراء المكتبة الإسلامية من خلال عرض وبيان بعض الآراء التي فسرت الوجه الحقيقي للعلم، والجمع بين آراء المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين من مفسرين ومصنفين.

٣ – تُولّد معرفة مكامن العلم، الإيمان الصادق بعلاقة النص القرآني بالسماء، وأنَّهُ تنزيل من الله تعالى، وليس بكلام بشر.

المبحث الأول المنظور القرآني للعلوم وألوانها

يعد العلم من أهم الدعامات التي حرص الإسلام على ترسيخها في عموم الأمة، وبالتالي فإن العلم بهذا المنظور يعد ركيزة النظم الإسلامية، وأساسها المتين، وبذلك فقد حقق الإسلام الأسس الواقعية والعلمية لنهضة الأمة، لأن "التعليم هو وسيلة الأمم لتحقيق النهضة والتقدم، والتعليم هو سلاح أمنها الوطني، وأداتها للتنافس، التعليم عملية مستمرة متطورة، يعتمد على الرؤى المستقبلية"[]، ثم لننظر إلى عصر تنزيل القرآن الكريم، ونتمعن في الإشراقة الإلهية المتمثلة بالأمر الإلهي للنبي صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ، حيث يقول تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم: **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}**[سورة العلق من (١ – ٥)]يقول الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي في تفسر هذه الآية: " اقرأ مبتدئا باسم ربك، أو مستعيناً باسم ربك، الذي خلق كل شيء، خلق كل إنسان في مجال التناسل والتكاثر من قطعة دم جامد، وهي العلقة، التي هي أحد أطوار خلق الإنسان، حيث يبدأ من نطفة، ثم يتحول إلى علقة، ثم يكون مضغة: قطعة لحم، وإنما قال: باسم ربك، ولم يقل: باسم الله، لما في لفظ الرب من معنى التربية وتعهد المصلحة، وذلك مناسب للأمر بالعبادة، وأضاف الله ذاته إلى رسوله، بقوله: بِاسْمِ رَبِّكَ للدلالة على أن فائدة العبادة تصل للرسول، وليس لله تعالى، افعل ما أمرت به من القراءة، وربك الذي أمرك بالقراءة: هو الأكرم من كل كريم، ومن كرمه: تمكينك من القراءة وأنت أمي. وكرر الله تعالى كلمة اقْرَأْ للتأكيد، ولأن القراءة لا تتحقق إلا بالتكرار والإعادة. وقوله: وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ لإزالة المانع والعذر الذي اعتذر به النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام، حين طلب منه القراءة، بقوله اقْرَأْ فقال: ما أنا بقارئ، أي لست متعلماً القراءة، ثم قرن الله الأمر بالكتابة مع الأمر بالقراءة بقوله تعالى: الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، أي علّم الإنسان الكتابة بالقلم، فهو نعمة عظيمة من الله تعالى، وواسطة للتفاهم بين الناس، كالتعبير باللسان، ولولا الكتابة لزالت العلوم، ولم يبق أثر للدين وأحكام الشرائع الإلهية وغيرها، ولم يصلح عيش، ولم يستقر نظام، ولا تمكنت الشعوب والأمم من الاستفادة من علوم ومعارف وثقافات الشعوب الأخرى، ولا عرف تاريخ الماضين، ولا تحدد مستقبل البشرية والثقافة في مختلف البلاد ثم أوضح الله تعالى عموم فضله وكثرة نعمه بقوله: عَلَّمَ الْإِنْسانَ، أي علّم الله تعالى الإنسان بالقلم كثيراً من الأمور والمعارف، ما لم يعلم بها سابقاً"[التفسير الوسيط: (٣ / ٢٩٠٢ – ٢٩٠٣).]. ثم لنعود إلى عصر تنزيل القرآن الكريم، ونقف على الشواهد القرآنية والتنظير العلمي للأسس والدعائم للعلوم:

١ – **تثبيت أركان علوم الشريعة:** إن من أعظم مقومات الإسلام هي الشريعة الغراء، وهي بجملتها وتفصيلاتها تمثل الإسلام بكل شمولية، يقول الله تعالى:{ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}** [(سورة الروم، الآية: ٣٠).]يقول الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي في تفسير هذه الآية: " {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً، فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها} أي إذا تبين الحق في الاعتقاد والدين بدلائله السابقة، وبطل الشرك ومعالمه، فاتبع الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم، التي هداك الله لها، وأكملها لك، وهو دين الفطرة السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه خلقهم على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره، وكن بذلك مائلاً عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق، وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم وأمر لأمته أيضاً، وقوله: {فِطْرَتَ اللهِ} أي الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله. وقدر فعل الخطاب للجماعة لقوله: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ}، {لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ} أي لا ينبغي لأحد أن يبدّل أو يغير فطرة الله أي الخلقة الأصلية والملة السليمة،

وهو خبر في معنى النهي أو الطلب، أي لا تبدلوا خلق الله ودينه بالشرك، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها، وهذا دليل على سلامة الخلقة العقدية، ونقاوة العقل البشري في أصل التكوين والوجود، ثم يحدث التغيير بتأثيرات البيئة من أهواء وعلوم ومعارف زائغة، وموروثات باطلة وتقليد مستمر للأسلاف، دون إعمال الفكر وتكوين الاعتقاد بالنظرة المستقلة الصائبة، ولو ترك الإنسان وشأنه لما اختار غير الإسلام ديناً، لأنه دين الفطرة والعقل، {ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ، وَلكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ} أي ذلك المأمور به من اتباع ملة التوحيد والتمسك بالشريعة والفطرة السليمة هو الدين المستقيم الذي لا عوج فيه ولا انحراف، غير أن أكثر الناس لا يعرفون ذلك حق المعرفة، فهم ناكبون عنه، لعدم إعمال فكرهم والإفادة من العلم الصحيح والبراهين الواضحة الدالة عليه، ولو فكروا وعقلوا وعلموا حق العلم، لما عدلوا عن ملة التوحيد وشريعة الإسلام وهديه [التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : ٢١ / ٨٢ – ٨٣] من أجل هذا بعث الله النبيين – عليهم الصلاة والسلام –، لهداية البشر إلى طريق الحق، ومعرفة الله سبحانه وتعالى، وما يجب بحقه وما يستحيل عليه، وكذا الإخبار التام عن المغيبات التي سيشهدها الناس يوم البعث والنشور والحساب، لذا جعل الإسلام والإيمان بالله والنبيين من أسمى مقامات الإيمان، ثم أردف الإيمان باليوم الاخر كمحصلة نهائية للإيمان بالجزاء الأوفى، الذي أعده الله تعالى لعباده أجمعين، يقول تعالى: **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِۦ وَ﴾ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ [**سورة البقرة، الآية: ٢٨٥**].**{آمَنَ} صَدَّقَ {الرَّسُول} مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم {بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبّه} مِنْ الْقُرْآن {وَالْمُؤْمِنُونَ} عُطِفَ عَلَيهِ {كُلّ} تَنْوِينه عِوَض مِنْ الْمُضَاف إِلَيْهِ {آمَنَ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَته وَكُتُبه} بِالْجَمْعِ وَالْإِفْرَاد {وَرُسُله} يَقُولُونَ {لَا نُفَرِّق بَيْن أَحَد مِنْ رُسُله} فَنُؤْمِن بِبَعْضٍ وَنَكْفُر بِبَعْضٍ كَمَا فَعَلَ الْيَهُود وَالنَّصَارَى {وَقَالُوا سَمِعْنَا} أَيْ ما أمرنا به سماع قبول {وأطعنا} نَسْأَلك {غُفْرَانك رَبّنَا وَإِلَيْك الْمَصِير} الْمَرْجِع بِالْبَعْثِ [تفسير الجلالين: ٦٤.]ثم يأتي بعد ذلك الإيمان، العمل بأركان الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج، التي بجملتها هي تزكية للنفوس، وقيادتها نحو طاعة الله تعالى، يقول تعالى: **﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا** [الشمس، الآية: ٩] ، أي: "أَفْلَحَ فَازَ، مَنْ زَكَّاها أَيْ مَنْ زَكَّى اللَّهُ نَفْسَهُ بِالطَّاعَةِ" [تفسير القرطبي: ٢٠ / ٧٧ .]ثم يأتي بعد ذلك العلم بمقاصد الشريعة، لأن العلم بالمقاصد هو أساس الفهم الدقيق لشريعة الإسلام، يقول الإمام ابن عاشور: "إن المقصد العام من التشريع فيها هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه، وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاح عقله، وصلاح عمله وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي نعيش فيه" [مقاصد الشريعة : ٢٧٣ .] ، وبعد هذا التأسيس العلمي لقواعد الشريعة نجد أن ما تقدم هو دفع العقل نحو فقه الشريعة الإسلامية من واقع التنزيل العظيم له الآثار الجليلة في بناء قواعد العلم في المجتمع الإسلامي.

٢ – **التنزيل الحكيم وبيانه لألوان العلوم:** هناك شواهد عظيمة في القرآن العظيم ذكر الحق فيها ألوان العلوم، لبحث العقل على التفكير والتدبر، وكذا دراستها، ومن تلك الألوان التي ذكرها القرآن الكريم:

أ – **علم الانسان وكل ما يتصل به من تراكيبه ومراحل تطوره:** قال تعالى: **فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَىَ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ** [سورة الطارق: ٥ – ٨].يقول الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي في تفسير هذه الآية: "أي فعلى الإنسان أن يتفكر في كيفية بدء خلقه، ليعلم قدرة الله على ما هو دون ذلك من البعث، إنه خلق من ماء مدفوق مصبوب في الرحم، وهو ماء الرجل وماء المرأة، وقد جعلا ماء واحداً لامتزاجهما، وإنه ماء يخرج من ظهر الرجل في النخاع الشوكي الآتي من الدماغ، ومن بين ترائب المرأة، أي عظام صدرها أو موضع القلادة من الصدر، والولد يتكون من اجتماع الماءين، ثم يستقر الماء المختلط في الرحم، فيتكون الجنين بإرادة الله تعالى، ومعنى خروجه من بين الصلب والترائب: أن أكثره ينفصل من هذين الموضعين لإحاطتهما بسور البدن، والماء في الحقيقة يشترك في تكوينه جميع أجزاء البدن، ويتبلور في الخصية والمبيض في بدء التكوين، وكلاهما يجاور الكلى، ويقع بين الصلب، والترائب، أي ما بين منتصف العمود الفقري تقريباً ومقابل أسفل الضلوع، وكل ذلك آثار عضوية مولدة من الدماغ، والنخاع قناة الدماغ، وهو في الصلب، وله شعب كثيرة نازلة إلى مقدم البدن، وهو الترائب جمع تريبة، وبعد السؤال والجواب عنه لمعرفة المبدأ الذي هو مقدمة لمعرفة المعاد، والذي ناسب أن يبدأ الله به، ذكر تعالى النتيجة المترتبة على ذلك وهي بيان القدرة على الإعادة، أي إن الله تعالى على رجع الإنسان، أي إعادته بالبعث بعد الموت لقادر؛ لأن من قدر على البداءة قدر على الإعادة، وقد ذكر تعالى هذا الدليل في مواضع متعددة في القرآن الكريم، وقيل: إنه تعالى على رجع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك. والراجح القول الأول بدليل قوله: {يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ}، ويرجعه يوم القيامة يوم تختبر وتعرف السرائر، أي ما يسرّ في القلوب من العقائد والنيات وغيرها. وحقيقة البلاء في حقه تعالى ترجع إلى الكشف والإظهار، وكيفية دلالة المبدأ على المعاد: أن حدوث الإنسان إنما كان بسبب اجتماع أجزاء كانت متفرقة في بدن الوالدين، فلما قدر الصانع على جمع تلك الأجزاء المتفرقة حتى خلق منها إنساناً سوياً، فإنه بعد موته وتفرق أجزائه، لا بدّ وأن يقدر على جمع تلك الأجزاء، وجعلها خلقاً سوياً" [التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : ٣٠ / ١٧٧ – ١٧٨ .]ثم لننظر

إلى بعض ما نهى الله تعالى عن فعله، لأن النهي في اصطلاحات الأصوليين: "هو طلب الكف عن الفعل على وجه الحتم والإلزام ما لم يقم دليل على خلاف ذلك، وبناء على ذلك الأصل في النهي هو أنه حقيقة في الحرمة، والفعل المطلوب تركه والكف عنه محرم"[أصول الفقه في نسيجه الجديد: ٣٠٧.]وقد نهى الله تعالى العبد المسلم عن ممارسة بعض الأفعال التي يترتب عليها ضرر بليغ، وقد نسمي هذه الإشارات القرآنية بالطب الوقائي، ولأن الوقاية خير من العلاج، ومن تلك النواهي التي ذكرها الحق في التنزيل العظيم قوله: **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**[سورة البقرة، الآية ٢٢٢] .

ب – البيان القرآني لعلوم الفلك: لو تأملنا الآيات الكريمة التي ذكرت ما يدور في الفلك لوجدنا أن القرآن العظيم حث على التدبر في تلك المشاهد الكونية العظيمة، وبهذا المفهوم يقف العقل البشري متأملاً بها، والحق أن الوقوف هنا لهدفين رئيسين:

إحداها: تطبيق علوم الطبيعة والفلك والخروج بحقائق علمية، ليغتني المجتمع الإسلامي من تلك العلوم، والاستفادة منها، ومن ذلك قوله تعالى: **وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**[سورة النحل، الآيات: ١٤ – ١٦]." يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ تَسْخِيرِهِ الْبَحْرَ الْمُتَلَاطِمَ الْأَمْوَاجِ، وَيَمْتَنُّ عَلَى عِبَادِهِ بِتَذْلِيلِهِ لَهُمْ، وَتَيْسِيرِهِ لِلرُّكُوبِ فِيهِ، وَجَعْلِهِ السَّمَكَ وَالْحِيتَانَ فِيهِ، وَإِحْلَالِهِ لِعِبَادِهِ لَحْمَهَا حَيَّهَا وَمَيِّتَهَا، فِي الْحَلِّ وَالْإِحْرَامِ وَمَا يَخْلُقُهُ فِيهِ مِنَ اللَّآلِئِ وَالْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ، وَتَسْهِيلِهِ لِلْعِبَادِ اسْتِخْرَاجَهَا مِنْ قَرَارِهَا حِلْيَةً يَلْبَسُونَهَا، وَتَسْخِيرِهِ الْبَحْرَ لِحَمْلِ السُّفُنِ الَّتِي تَمْخُرُهُ، أَيْ: تَشُقُّهُ، وَقِيلَ: تَمْخُرُ الرِّيَاحَ، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ بِجُؤْجُئِهَا وَهُوَ صَدْرُهَا المسنَّم – الَّذِي أَرْشَدَ الْعِبَادَ إِلَى صَنْعَتِهَا، وَهَدَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ، إِرْثًا عَنْ أَبِيهِمْ نُوحٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ رَكِبَ السُّفُنَ، وَلَهُ كَانَ تَعْلِيمُ صَنْعَتِهَا، ثُمَّ أَخَذَهَا النَّاسُ عَنْهُ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، وَجِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، يَسِيرُونَ مِنْ قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ، وَبَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَإِقْلِيمٍ إِلَى إِقْلِيمٍ، تَجْلِبُ مَا هُنَا إِلَى هُنَالِكَ، وَمَا هُنَالِكَ إِلَى هُنَا، ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى الْأَرْضَ، وَمَا جَعَلَ فِيهَا مِنَ الرَّوَاسِي الشَّامِخَاتِ وَالْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ، لِتَقِرَّ الْأَرْضُ وَلَا تَمِيدُ، أَيْ: تَضْطَرِبُ بِمَا عَلَيْهَا مِنَ الْحَيَوَانِ فَلَا يَهْنَأُ لَهُمْ عَيْشٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَقَوْلُهُ: {وَأَنْهَارًا وَسُبُلا} أَيْ: وَجَعَلَ فِيهَا أَنْهَارًا تَجْرِي مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ، رِزْقًا لِلْعِبَادِ، يَنْبُعُ فِي مَوْضِعٍ وَهُوَ رِزْقٌ لِأَهْلِ مَوْضِعٍ آخَرَ، فَيَقْطَعُ الْبِقَاعَ وَالْبَرَارِيَ وَالْقِفَارَ، وَيَخْتَرِقُ الْجِبَالَ وَالْآكَامَ، فَيَصِلُ إِلَى الْبَلَدِ الَّذِي سُخِّرَ لِأَهْلِهِ. وَهِيَ سَائِرَةٌ فِي الْأَرْضِ يُمْنَةً وَيُسْرَةً، وَجَنُوبًا وَشِمَالًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، مَا بَيْنَ صِغَارٍ وَكِبَارٍ، وَأَوْدِيَةً تَجْرِي حِينًا وَتَنْقَطِعُ في وقت، وما بين نبع وجمع، وَقَوِيٍّ السَّيْرِ وَبَطِيئِهِ، بِحَسَبِ مَا أَرَادَ وَقَدَّرَ، وَسَخَّرَ وَيَسَّرَ فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، وَكَذَلِكَ جَعَلَ فِيهَا سُبُلًا أَيْ: طُرُقًا يُسْلَكُ فِيهَا مِنْ بِلَادٍ إِلَى بِلَادٍ، حَتَّى إِنَّهُ تَعَالَى لَيَقْطَعُ الْجَبَلَ حَتَّى يَكُونَ مَا بَيْنَهُمَا مَمَرًّا وَمَسْلَكًا، وَقَوْلُهُ: {وَعَلامَاتٍ} أَيْ: دَلَائِلَ مِنْ جِبَالٍ كِبَارٍ وَآكَامٍ صِغَارٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، يَسْتَدِلُّ بِهَا الْمُسَافِرُونَ برًا وَبَحْرًا إِذَا ضَلُّوا الطَّرِيقَ [بِالنَّهَارِ]، وَقَوْلُهُ: {وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} أَيْ: فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ" [تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير:٤ / ٥٦٣ – ٥٦٤.] .وقوله تعالى أيضاً: **﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** [سورة يونس، الآيات: ٥ – ٦].

وثانيها: إثبات قدرة الله تعالى على خلقه العظيم، ومن ذلك قوله: **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** [سورة البقرة، الآية: ١٦٤] وقوله: **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ** [سورة آل عمران، الآية: ١٩٠]" اعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الْكَرِيمِ جَذْبُ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ عَنِ الِاشْتِغَالِ بِالْخَلْقِ إِلَى الِاسْتِغْرَاقِ فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ، فَلَمَّا طَالَ الْكَلَامُ فِي تَقْرِيرِ الْأَحْكَامِ وَالْجَوَابِ عَنْ شُبُهَاتِ الْمُبْطِلِينَ عَادَ إِلَى إِنَارَةِ الْقُلُوبِ بِذِكْرِ مَا يَدُلُّ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِلَهِيَّةِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْجَلَالِ، فَذَكَرَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَذَكَرَهَا هُنَا أَيْضًا، وَخَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ بِقَوْلِهِ: لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [البقرة: ١٦٤] وختمها هاهنا بِقَوْلِهِ: لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ وَذَكَرَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَعَ هَذِهِ الدَّلَائِلِ الثَّلَاثَةِ خَمْسَةَ أَنْوَاعٍ أُخْرَى، حَتَّى كَانَ الْمَجْمُوعُ ثَمَانِيَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الدلائل، وهاهنا اكتفى بذكر هذه الأنواع الثلاثة: وهي السموات وَالْأَرْضُ، وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، فَهَذِهِ أَسْئِلَةٌ ثَلَاثَةٌ:

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: مَا الْفَائِدَةُ فِي إِعَادَةِ الْآيَةِ الْوَاحِدَةِ بِاللَّفْظِ الْوَاحِدِ فِي سُورَتَيْنِ؟

وَالسُّؤَالُ الثَّانِي: لِمَ اكتفى هاهنا بِإِعَادَةِ ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الدَّلَائِلِ وَحَذَفَ الْخَمْسَةَ الْبَاقِيَةَ؟

وَالسُّؤَالُ الثَّالِثُ: لِمَ قَالَ هُنَاكَ: لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [البقرة: ١٦٤] وقال هاهنا: لِأُولِي الْأَلْبَابِ.

فَأَقُولُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَسْرَارِ كِتَابِهِ: إِنَّ سُوَيْدَاءَ الْبَصِيرَةِ تَجْرِي مَجْرَى سَوَادِ الْبَصَرِ فَكَمَا أَنَّ سَوَادَ الْبَصَرِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْتَقْصِيَ فِي النَّظَرِ إِلَى شَيْئَيْنِ، بَلْ إِذَا حَدَّقَ بَصَرَهُ نَحْوَ شَيْءٍ تَعَذَّرَ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ تَحْدِيقُ الْبَصَرِ نَحْوَ شَيْءٍ آخر، فكذلك هاهنا إِذَا حَدَّقَ الْإِنْسَانُ حَدَقَةَ عَقْلِهِ نَحْوَ مُلَاحَظَةِ معقول امتنع عليه في تلك الحالة الْحَالَةِ تَحْدِيقُ حَدَقَةِ الْعَقْلِ نَحْوَ مَعْقُولٍ آخَرَ، فَعَلَى هَذَا كُلَّمَا كَانَ اشْتِغَالُ الْعَقْلِ بِالِالْتِفَاتِ إِلَى الْمَعْقُولَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ أَكْثَرَ، كَانَ حِرْمَانُهُ عَنِ الِاسْتِقْصَاءِ فِي تِلْكَ التَّعَقُّلَاتِ وَالْإِدْرَاكَاتِ أَكْثَرَ، فَعَلَى هَذَا: السَّالِكُ إِلَى اللَّهِ لَا بُدَّ لَهُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ مِنْ تَكْثِيرِ الدَّلَائِلِ، فَإِذَا اسْتَنَارَ الْقَلْبُ بِنُورِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ صَارَ اشْتِغَالُهُ بِتِلْكَ الدَّلَائِلِ كَالْحِجَابِ لَهُ عَنِ اسْتِغْرَاقِ الْقَلْبِ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ، فَالسَّالِكُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ كَانَ طَالِبًا لِتَكْثِيرِ الدَّلَائِلِ، فَعِنْدَ وُقُوعِ هَذَا النُّورِ فِي الْقَلْبِ يَصِيرُ طَالِبًا لِتَقْلِيلِ الدَّلَائِلِ، حَتَّى إِذَا زَالَتِ/ الظُّلْمَةُ الْمُتَوَلِّدَةُ مِنَ اشْتِغَالِ الْقَلْبِ بِغَيْرِ اللَّهِ كَمُلَ فِيهِ تَجَلِّي أَنْوَارِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً [طه: ١٢] وَالنَّعْلَانِ هُمَا الْمُقَدِّمَتَانِ اللَّتَانِ بِهِمَا يَتَوَصَّلُ الْعَقْلُ إِلَى الْمَعْرِفَةِ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ أُمِرَ بِخَلْعِهِمَا، وَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَضَعَ قَدَمَيْكَ فِي وَادِي قُدُسِ الْوَحْدَانِيَّةِ فَاتْرُكِ الِاشْتِغَالَ بِالدَّلَائِلِ، إِذَا عَرَفْتَ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ، فَذَكَرَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثَمَانِيَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الدَّلَائِلِ، ثُمَّ أَعَادَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ مِنْهَا، تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الْعَارِفَ بَعْدَ صَيْرُورَتِهِ عَارِفًا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَقْلِيلِ الِالْتِفَاتِ إِلَى الدَّلَائِلِ لِيَكْمُلَ لَهُ الِاسْتِغْرَاقُ فِي مَعْرِفَةِ الْمَدْلُولِ، فَكَانَ الْغَرَضُ مِنْ إِعَادَةِ ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الدَّلَائِلِ وَحَذْفِ الْبَقِيَّةِ، التَّنْبِيهَ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى اسْتَقْصَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الدَّلَائِلَ السَّمَاوِيَّةَ وَحَذَفَ الدَّلَائِلَ الْخَمْسَةَ الْبَاقِيَةَ، الَّتِي هِيَ الدَّلَائِلُ الْأَرْضِيَّةُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الدَّلَائِلَ السَّمَاوِيَّةَ أَقْهَرُ وَأَبْهَرُ، وَالْعَجَائِبُ فِيهَا أَكْثَرُ، وَانْتِقَالُ الْقَلْبِ مِنْهَا إِلَى عَظَمَةِ اللَّهِ وَكِبْرِيَائِهِ أَشَدُّ، ثُمَّ خَتَمَ تِلْكَ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَخَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: لِأُولِي الْأَلْبابِ لِأَنَّ الْعَقْلَ لَهُ ظَاهِرٌ وَلَهُ لُبٌّ، فَفِي أَوَّلِ الْأَمْرِ يَكُونُ عَقْلًا، وَفِي كَمَالِ الْحَالِ يَكُونُ لُبًّا، وَهَذَا أَيْضًا يُقَوِّي مَا ذَكَرْنَاهُ، فَهَذَا مَا خَطَرَ بِالْبَالِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَسْرَارِ كَلَامِهِ العظيم الكريم الحكيم" [مفاتيح الغيب : ٩ / ٤٥٨ – ٤٥٩ .] .وقوله: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[سورة الأعراف، الآية: ٥٤].

ج – البيان القرآني لتاريخ الأمم وأنبيائهم: لقد أفاضت الآيات الكريمة إفاضة تامة وفق البيان الصريح حركة الأقوام والشعوب وعلاقتهم بأنبيائهم ورسلهم، وكذا ما آل الامر لهم، وهي ما نسميه بالمنهج التاريخي، الذي يكشف من واقعه حقائق بعيدة عن متناول علماء التاريخ، وكل ذلك ينضوي تحت قول الحق: **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**[سورة يوسف، الآية: ١١١] .

د – البيان القرآني لمظاهر الطبيعة: ذكر القرآن العظيم في آياته الجبال، والأنهار، والبحار، والرياح، والسحاب، والمطر، في آيات عدة، ومنها قوله تعالى: **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** [سورة الغاشية، الآيات: ١٧ – ٢٠] "هذه طائفة من الأدلة على وجود الله ووحدانيته وقدرته، على الناس أن ينظروا فيها، ويتأملوا بعجيب خلقها، ليهتدوا إلى الإيمان باليوم الآخر. كيف يصح للمشركين إنكار البعث واستبعاد وقوعه؟ وهم يشاهدون الإبل التي هي غالب مواشيهم وأكبر مخلوقاتهم في بيئتهم، كيف خلقها الله على هذا النحو البديع، من عظم الجثة، وقوة الجسد، وجمال الوصف، فهي خلق عجيب، وتركيب غريب. ومع ذلك تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للولد الصغير، وتؤكل بعد الذبح، وينتفع بأوبارها، وألبانها، وجلودها، وتصبر على الجوع والعطش، ودليل آخرهو: ألا يشاهدون السماء كيف رفعت فوق الأرض بلا عمد؟! وينظرون إلى الجبال الضخمة العالية المنصوبة على الأرض، فإنها ثابتة لئلا تميد الأرض بأهلها أثناء دورانها، وينظرون إلى الأرض كيف بسطت ومدت ومهّدت، ليستقر عليها سكناها، وينتفعوا بما فيها من خيرات ومعادن دفينة، وما تخرجه من نباتات وزروع وأشجار متنوعة، بها قوام الحياة والمعيشة، وتسطيح الأرض إنما هو بالنسبة للناظر إليها من كثب (أي قرب)، والمقيم عليها في بعض نواحيها، ولا يعني ذلك أنها ليست بكروية، لأن الكرة– كما ذكر الفخر الرازي– إذا كانت في غاية العظمة، يكون كل قطعة منها كالسطح، وإنما ذكرت هذه المخلوقات دون غيرها، لأنها أقرب الأشياء إلى الإنسان الناظر فيها" [التفسير الوسيط: ٣ / ٢٨٦٩]وقوله أيضاً: **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** [سورة الأعراف۞ الآية: ٥٧]

هـ – علوم القراءة والمطالعة: عظمت تلكم العلوم بوسائل القراءة، وكذا المطالعة، ولعل كلمة (القرآن) مشتقة من (اقرأ)، بمعنى (تلا)، يقول صاحب مناهل العرفان: "أما لفظ (القرآن) فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۥ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾**[سورة القيامة۞ الآيات: ١٧ – ١٩]"لا تحرّك بالقرآن لسانك عند إلقاء الوحي، لتأخذه على عجل، مخافة أن يتفلت منك، كما جاء في

آية أخرى: فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً [طه: ٢٠/ ١١٤]، إن علينا جمعه في صدرك، حتى لا يذهب عليك منه شيء، وعلينا إثبات قراءته في لسانك على الوجه القويم. فإذا أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام، فاستمع له وأنصت، ثم اقرأه كما أقرأك، وكرره حتى يرسخ في ذهنك. والقرآن: مصدر كالقراءة، ثم إننا بعد حفظه وتلاوته، نفسّر لك ما فيه من الحلال والحرام، ونبيّن أو نوضّح لك ما أشكل منه، ونلهمك معناه كما أردناه وشرعنا، أي علينا تبيينه وتحفيظه لك" [التفسير الوسيط: ٣ /٢٧٨٢ .] ثم نقل من هذا المعنى المصدري، وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، من باب إطلاق المصدر على مفعوله[مناهل العرفان في علوم القرآن:١ / ١٣ .] ثم أصبحت كلمة (القرآن) عَلَماً على كتاب الله العظيم، وقد أشار القرآن الكريم الى الأثر العظيم في تعليم النبي أمته، فقال تعالى: **هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢)**[سورة الجمعة، الآية: ٢]ثم لننظر إلى التوافق العلمي للقراءة، فكلمة (اقرأ) في قوله تعالى: **قْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ**[سورة العلق، الآية: ١] هو إحياء القلوب من موات محقق، وإيقاظ العقول من الجمود والسُبات، وهنا تأسيس لقواعد العقل والفكر، وثم يأتي القَسَمُ الإلهيُّ بالقلم، قال تعالى: **ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**[سورة القلم، الآية: ١]وبياناً لشرف الكتابة والقراءة، ولو تأملنا في تلك الآيات نجد أنَّ معاني الارتباط بين التفكير والتدبر والتأمل في أسمى قاعدة اختطها القرآن الكريم للناس، ألا وهي (العلم والإيمان)، لتتجلَّى معاني الإسلام عندها لأنواع العلوم أمام العيان.

و – البيان القرآني لقواعد النظر والتفكر: هذا المحور لا ينفك عما تقدم من التدبر والتفكر والتأمل، ولكن أحببنا ذكره في محور مستقبل، ذلك أن الله تعالى ذكر التفكر والتدبر والنظر في آيات عدة، منها قول الحق: **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنـزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾**[سورة البقرة، الآية: ١٦٤]"{إن في خلق السماوات والارض} أي في إبداعهما على ما هما عليه مع ما فيهما من التعاجيب العِبَر وبدائع صنائعَ يعجِزُ عن فهمها عقولُ البشر وجمعُ السماوات لما هو المشهورُ من أنها طبقاتٌ متخالفة الحقائقِ دون الأرض، {واختلاف الليل والنهار} أي اعتقابِهما وكونِ كلَ منهما خلَفاً للآخر كقولِه تعالى وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اليل والنهار خِلْفَةً أو اختلافُ كل منهما في أنفسهما ازدياداً وانتقاصاً على ما قدّره الله تعالى، {والفلك التى تَجْرِى فِى البحر} عطفٌ على ما قبله وتأنيثُه إما بتأويل السفينة أو بأنه جمعٌ فإن ضمةَ الجمعِ مغايرةٌ لضمة الواحد في التقدير إذا الأُولى كما في حُمُر والثانية كما في قُفْل وقرئ بضم اللام، {بِمَا يَنفَعُ الناس} أي متلبسه بالذي ينفعُهم مما يُحمل فيها من أنواع المنافعِ أو بنفعهم، {وَمَا أَنزَلَ الله مِنَ السماء مِن مَّاء} عطفٌ على الفلك وتأخيرُه عن ذكرها مع كونه أعمَّ منها نفعاً لما فيه من مزيد تفصيلٍ وقيل المقصودُ الاستدلالُ بالبحر وأحوالِه وتخصيصُ الفلك بالذكر لأنه سببُ الخوض فيه والاطلاعِ على عجائبه ولذلك قدِّم على ذكر المطرِ والسحابِ لأن منشأهما البحرُ في غالب الأمر ومن الأولى ابتدائيةٌ والثانية بيانية أو تبعيضية وأياما كان فتأخيرُها لما مرَّ مرارا من التشويقِ والمرادُ بالسماء الفَلَكُ أو السحابُ أو جهةُ العلوّ، {فأحيا بِهِ الارض} بأنواع النباتِ والإزهارِ وما عليها من الأشجار، {بَعْدَ مَوْتِهَا} باستيلاء اليُبوسةِ عليها حسبما تقتضيه طبيعتُها كما يوزن به إيرادُ الموت في مقابلة الإحياء، {وَبَثَّ فِيهَا} أي فرَّق ونشر، {مِن كُلّ دَابَّةٍ} من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفةٌ على أنزل داخلةٌ تحت حكمِ الصلةِ وقوله تعالى فأحيا الخ متصلٌ بالمعطوف عليه بحيث كانا في حكم شيء واحد كأنه قيل وما أنزل في الأرض من ماءٍ وبثَّ فيها الخ أو على أحيا بحذف الجارّ والمجرور العائدِ إلى الموصول وإن لم يتحقق الشرائط المعهودة كما في قوله ... وإن لساني شَهْدةٌ يشتفى بها ... ولكنْ على مَنْ صَبَّه الله علقمُ ... أي علقمٌ عليه وقولِه ... لعلَّ الذي أصْعَدْتَني أن يزُدَّني ... إلى الأرضِ إن لم يقدِرِ الخيرَ قادِرُهْ، على معنى فأحيا بالماء الأرضَ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلّ دابةٍ فإنهم ينمُون بالخصب ويعيشون بالحَيا، {وَتَصْرِيفِ الرياح} عطف على ما أنزل أي تقليبها من مهب إلى آخر أومن حال إلى أخرى وقرئ على الإفراد، {والسحاب} عطفٌ على تصريفِ أو الرياحِ وهو اسمُ جنسٍ واحده سَحابةٌ سمي بذلك لانسحابه في الجو، {المسخر بَيْنَ السماء والارض} صفةٌ للسحاب باعتبار لفظه وقد يُعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله تعالى سَحَابًا ثِقَالاً وتسخيرُه تقليبُه في الجو بواسطة الرياحِ حسبما تقتضيه مشيئةُ الله تعالى ولعل تأخيرَ تصريفِ الرياحِ وتسخيرِ السحاب في الذكر عن جريان الفُلك وإنزال الماء مع انعكاس الترتيب الخارجيّ لما مرَّ في قصَّةِ البقرةِ من الإشعار باستقلال كلَ من الأمور المعدودة في كونها آيةً ولو رُوعيَ الترتيبُ الخارجيُّ لربما تُوهُم كونُ المجموعِ المترتبِ بعضُه على بعضٍ آيةً واحدة، {لآيَاتٍ} اسمُ إن دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنكيرُ للتفخيم كماً وكيفاً أي آياتٍ عظيمةً كثيرةً دالة على القدرة والحِكمة الباهرةِ والرحمةِ الواسعة المقتضية لاختصاص الألوهية به سبحانه، {لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} أي يتفكرون فيها وينظرون إليها بعيون العقول وفيه تعريضٌ بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبيّ صلَّى الله عليهِ وسلم آيةً تصدِّقه في قوله تعالى وإلهكم إله واحد وتسجيلٌ عليهم بسخافة العقولِ وإلا فمن تأمل في تلك الآيات وجدَ كلاً منها ناطقةً بوجوده تعالى ووحدانيته وسائرِ صفاتِه

الكماليةِ الموجبةِ لتخصيصِ العبادةِ بهِ تعالى واستُغني بها عن سائرها فإن كلَّ واحدٍ من الأمور المعدودةِ قد وجد على وجه خاصَ من الوجوه الممكنةِ دون ما عداه مستتبعاً لآثار معينةٍ وأحكامٍ مخصوصةٍ من غير أن تقتضي ذاتُه وجودَه فضلاً عن وجوده على نمطٍ معين مستتبعٍ لحكمٍ مستقل فإذن لا بدله حتماً من موجدٍ قادر حكيمٍ يوجده حسبما تقتضيه حكمتُه وتستدعيه مشيئتُه متعالٍ عن معارضة الغير إذ لو كان معه آخرُ يقدِر على ما يقدرُ عليه لزمَ إما اجتماعُ المؤثِّرَيْن على أثر واحدٍ أو التمانعُ المؤدي إلى فساد العالم" [إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١ / ١٨٣ – ١٨٤ .] وقوله أيضاً: **وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون (٦٨) ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾[سورة النحل◉ الآيات: ٦٨ – ٦٩]**."وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ، أَيْ: أَلْهَمَهَا وَقَذَفَ فِي أَنْفُسِهَا فَفَهِمَتْهُ وَالنَّحْلُ زَنَابِيرُ الْعَسَلِ وَاحِدَتُهَا نَحْلَةٌ، أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ، يَبْنُونَ وَقَدْ جَرَتِ الْعَادَةُ أَنَّ أَهْلَهَا يَبْنُونَ لَهَا الْأَمَاكِنَ فَهِيَ تَأْوِي إِلَيْهَا، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: هِيَ الْكُرُومُ، ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ، لَيْسَ مَعْنَى الْكُلِّ الْعُمُومَ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ [النَّمْلِ: ٢٣]، فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا، قِيلَ: هِيَ نَعْتُ الطُّرُقِ، يَقُولُ: هِيَ مُذَلَّلَةٌ لِلنَّحْلِ سَهْلَةُ الْمَسَالِكِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا يَتَوَعَّرُ عَلَيْهَا مَكَانٌ سَلَكَتْهُ، وَقَالَ آخَرُونَ: الذُّلُلُ نَعْتُ النَّحَلِ، أَيْ: مُطِيعَةٌ مُنْقَادَةٌ بِالتَّسْخِيرِ، يُقَالُ: إِنَّ أَرْبَابَهَا يَنْقُلُونَهَا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ وَلَهَا يَعْسُوبٌ إِذَا وَقَفَ وَقَفَتْ وَإِذَا سَارَ سَارَتْ، يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ، يَعْنِي: الْعَسَلَ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ، أَبْيَضُ وَأَحْمَرُ وَأَصْفَرُ. فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ، أَيْ: فِي الْعَسَلِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَيْ فِي القرآن والأول أولى، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: الْعَسَلُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَالْقُرْآنُ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: عَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءَيْنِ الْقُرْآنِ وَالْعَسَلِ، إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، فَيَعْتَبِرُونَ" [معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٣ / ٨٦ – ٨٧.]وقوله الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى [سورة طه، الآيات: ٥٣ – ٥٤]

المبحث الثاني حاجة المجتمع الإسلامي اليوم إلى العلوم وألوانها

فيما تقدم علمنا أن القرآن الكريم أسس الدعامات الرئيسية للنظر إلى العلوم وألوانها، والناظر إلى التاريخ الإسلامي يجد أن الحياة العلمية في المجتمع الإسلامي أخذت ترتقي مراقٍ عاليةٍ، وشواهد ذلك: (بغداد حاضرة العرب، ومنارة العالم)، يوم كانت يقصدها الناس من كافة أرجاء المعمورة، لينتهلوا من مشارب العلوم وألوانه، ذاك لما عاشته من العصور العلمية الذهبية، فهي بلد العلم والعلماء، غير أن مقاليد الأمور بدأت تتراجع عما كانت عليه، وتختلف اختلافاً كبيراً عمَّا كان عليه في الأمس، نتيجة لظروف وأسباب عدة أحاطت بالأمة الإسلامية من كل جوانبها، لتبدأ بعدها عصور التراجع، ويسدل الجهل أستاره المظلمة، ويتخلف المجتمع الإسلامي عن ركب الحضارة والرقي، ومن تلك الأسباب التي أدَّت إلى تراجع الأُمَّة:

أولاً – العوامل الخارجية:

أ – الهجمات العسكرية المتمثلة بالقهر والسطوة والقسوة والتدمير: ابتدأ بسقوط عاصمة الخلافة الإسلامية سنة (٦٥٦هـ)، وكذا الدول الإسلامية الأخرى، إذ نتج عن تلك الحملات العسكرية، تدمير العلم، وتقتيل العلماء، وتدمير المدونات العظيمة من أمهات الكتب في ألوان العلوم، ولا نريد أن نخوض في تفصيلات الحوادث بقدر ما نريد أن نشخص أسباب تراجع الأمة الإسلامية عن ركب الحضارة المتقدم، وخاصة في زماننا هذا.

ب – أساليب الغزو الفكري المتمثلة بالدراسات الاستشراقية، وكذا الحملات التبشيرية، أدى إلى زعزعت العقيدة والإيمان في قلوب المسلمين، وإحلال بعض المفاهيم الغريبة في المجتمع المسلم.

ثانياً – العوامل الداخلية:

أ – وقد يكون هناك سبب نسميه – السبب العظيم –، وهو أنَّ العالم الإسلامي في عصر التخلف الراهن منقسم إلى دويلات متنافرة تنافراً مكتوماً أو ظاهراً [معالم الطريق : ١٢٤ .] ، ففي الوقت الذي نرى الأمم العظمى تتحد بينها وتكون الاتحادات – كالاتحاد الأوروبي وغيره –، في الوقت نفسه تزداد فرقة الدول الإسلامية، ازدياداً واضحاً لتزداد رقعة التنافر، لأسباب إمَّا سياسية أو دينية، ومجمل ذلك هو خلاف الأصل، لأن الله تعالى جعلنا أمة واحدة معتصمة بحبله المتين، قال تعالى: **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** [سورة آل عمران، الآية: ١٠٣].

ب – حالة التشرذم القائمة بوجود آلاف المسلمين هنا، وملايين منهم هناك موجهين من علماء السوء إلى التفرق وشق الصفوف، والعداوة والبغضاء داخل المجتمع الإسلامي ذاته، مما أشعل الفتن داخل بلاد المسلمين وازدياد الفرقة والقطيعة[معالم الطريق:١٢٤.].

ج – الانسلاخ التام عن الإسلام ديناً وتشريعاً وأسلوب حياة، وترك كل مفاهيم الإسلام، لذا وقفنا أمام مسؤولية عظيمة اليوم تجاه مجتمعاتنا خاصة وأن العلماء وطلبة العلم كلهم مسؤولون، فلا بد من البحوث العلمية التي لها الدور الريادي في حل المشكلة المستأصلة في المجتمع، وبالرغم من ذلك فإنه لابد من مناقشة ذلك في بحثي، وأن نعمد لبيان شرف وفضيلة العلم والتعلم، وكذا بيان أصل الحضارة الإنسانية وبيان أثر العلوم في تكوينها، وجملة ذلك يصب في حاجة المجتمع المسلم إلى النهضة بالعلوم وجميع ألوانها.

أولاً – شرف وفضيلة العلم والتعلم: للعلم معنى، وينجلي بيانه: في ضده للجهل، نقول علم علماً، وعلم هو نفسه، ورجل عالم وعليم من قوم علماء[لسان العرب، ابن منظور باب الميم، فصل العين] ، وفي الاصطلاح: العلم هو إدراك الشيء بحقيقته، أو هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع [التعريفات، الشريف الجرجاني:٤٥٠.] ، والعلم هو النور الذي يهدي به الله تعالى الناس في مسالك الأرض، لذا فإنَّ العلم بهذا الاعتبار هو أصل كل حضارة قائمة على وجه البسيطة، وقد بين الحق جل ثناؤه فضيلة العلم والتعلم في مواطن عدة في كتابه العظيم، قال تعالى: **(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)**[سورة آل عمران، الآية: ١٨]."{شَهِدَ الله} أي حكم أو قال {أَنَّهُ} أي بأنه {لا إله إلاَّ هُوَ والملائكة} بما عاينوا من عظيم قدرته {وأولو العلم} أي الأنبياء والعلماء {قَائِمَاً بالقسط} مقيماً للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على أنه حال مؤكدة من اسم الله تعالى أو من هو وإنما جاز إفراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاء زيد وعمرو راكباً لم يجز لعدم الإلباس فإنك لو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكر أو على المدح وكرر {لاَ إله إلاَّ هو} للتأكيد {العزيز الحكيم}، رفع على الاستئناف أي هو العزيز وليس بوصف لهو لأن الضمير لا يوصف يعني أنه العزيز الذي لا يغالب الحكيم الذي لا يعدل عن الحق" [مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١ / ٢٤٢ .] .فرفع الله تعالى العلماء وأهله إلى درجات عالية، ويتجسد هذا الشرف العظيم بقوله جل ثناؤه: قال تعالى: **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**[سورة المجادلة، الآية: ١١] .كذلك جعل الله للذين أوتوا العلم الرفعة والعزة، وقد أعلى بعضهم على بعض بحسب ما أوتوا من العلم، قال تعالى: **نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ** [سورة يوسف، الآية: ٧٦]."وفوق كل عالم من هو أعلم منه، والمعنى: أن البشر في العلم درجات، فكل عالم لا بدّ من وجود من هو أعلم منه، فإما من البشر، وإما الله عز وجل. قال الحسن البصري: ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهي إلى الله عز وجل. فإذا كان إخوة يوسف علماء، فإن يوسف كان أعلم منهم[التفسير الوسيط: ٢ / ١١٢٧.]".ثم لننظر إلى هدي النبوة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم يهدي بها في ظلمات البر والبحر، فإذا أنطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة" [رواه الإمام أحمد في مسنده، عن أنس بن مالك.] وقال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي" [أخرجه الإمام الترمذي، في كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (٢٦٨٥)، حديث أبي أمامة.] ، فأضحت للعلم قدسية في نفوس المسلمين، قدسية عظيمة، ولعل العالم والمتعلم هما الحلقتان العظيمتان في مسألة العلم، وهما نور المجتمع، فالعالم هو الحلقة الأولى والرئيسة الذي يحرص على تأدية العلم في نفوس الناس وترسيخه، والمتعلم هو الحلقة الثانية، الذي يعد من أعظم أركان المجتمع، فالطالب هو الذي يجتهد في تحصيل العلوم بكل اهتمام وجدية ومسؤولية عظيمة، والعالم والمتعلم هما نواة المجتمع، وهما الأساس الحضاري له، لذا أصبح: "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة". [أخرجه البيهقي في شعب الايمان:٢/ ٢٥٤]ويصور لنا الإمام الغزالي لذة العلم عندما يتذوقه طلابه، فيقول: "إذا نظرت إلى العلم ورأيته ووجدته وسيلة إلى دار الاخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى، ولا يتوصل إليه إلا به، وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية، وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها، ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل، فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم"[إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي: ١ / ١٤٩.] ثم لننظر إلى الآيات العظيمة من الذكر الحكيم إلى إخبار الله تعالى عن صفات الأنبياء والرسل، فنجد أن العلم هو أعلى مرقى للأنبياء والمرسلين جميعاً، وأن العلم هو صفتهم، وشرفهم، وهو أكمل الصفات في توجيه البشر نحو شرعة الله تعالى، قال تعالى: **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**[سورة الأنبياء، الآية: ٧٣]

ثانياً – العلم أصل الحضارة: يقول الحق جل ثناؤه: **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولً** [سورة الإسراء، الآية: ٣٦]لذا قرر القرآن الكريم أنَّ المسائل والقضايا لا تأخذ طابعاً علمياً إلا أن يستند إلى الدليل العلمي الذي يجزم بالواقع المطابق له، والبرهان العلمي عليه، لذا فأنَّ المبالغة في ذلك هو الأساس الذي يجب على المجتمع أن يفترش حضارته، لذا نجد في قول الحق الحجة العلمية بين الناس، ذا ما دعوا لمناظرة علمية، يقول الله تعالى: **وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** [سورة البقرة، الآية: ١١١]وقد تختلف الحضارة العربية الإسلامية عن باقي الحضارات بجوهرية محورية، أعني بها العقيدة الإلهية أنشأت

مجتمعاً فريداً، قدم الإنجاز الفكري المتميز: النظري، والعلمي المتنوع الاتجاهات، المتجانس الروح، الموحد الهدف الذي أنبته الإسلام ورعاه ووجهه، والإسلام هو الشرعة والمنهاج الذي أوحاه الله تعالى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** [سورة الجاثية، الآية: ١٨]" ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلى شَرِيعَةٍ، فلا محالة أنه سيختلف عليك كما تقدم لبني إسرائيل فاتبع شريعتك، والشريعة في كلام العرب: الموضع الذي يرد فيه الناس في الأنهار والمياه ومنه قول الشاعر:

وفي الشرائع من جلان مقتنص ... رث الثياب خفيّ الشخص منسرب

فشريعة الدين هي من ذلك، كأنها من حيث يرد الناس أمر الحدود ورحمته والقرب منه، وقال قتادة: الشريعة: الفرائض والحدود والأمر والنهي، وقوله: مِنَ الْأَمْرِ يحتمل أن يكون واحد الأمور أي من دون الله ونبواته التي بثها في سالف الزمان، ويحتمل أن يكون مصدرا من أمر يأمر، أي على شريعة من الأوامر والنواهي، فسمى جميع ذلك أمرا. والَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ هم الكفار الذين كانوا يريدون صرف محمد صلى الله عليه وسلم إلى إرادتهم. و: يُغْنُوا من الغناء، أي لن يكون لهم عنك دفاع. ثم حقر تعالى شأن الظالمين مشيرا بذلك إلى كفار قريش، ووجه التحقير أنه قال: هؤلاء يتولى بعضهم بعضا، والمتقون يتولاهم الله، فخرجوا عن ولاية الله وتبرأت منهم، ووكلهم الله بعضهم إلى بعض"[المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥ / ٨٤ .] .

ثالثاً – مشروع إيقاظ ضمير الأمة الإسلامية، وتوجيهها نحو العلم: بعد أن عرضنا مسائل العلم ووسائله وفضيلته وعرفنا أنَّ مفتاح الأمم العلم والتعلم، ورقي الأمم يكمن في جوانب العلم وألوانه، فلا بد لنا من تقديم مشروع للأمة الإسلامية الذي يدور حول قوامه الدَّيِّن وعبقه الطيب:

١ – النية والقصد إلى تعلم العلوم، لقوله صلى الله عليه وسلم: "إنَّمَا الأعمالُ بالنِيَّاتِ"[أخرجهُ البخاري في صحيحه: (١ / ٣)]

٢ – توقير العلم والعلماء، وإعلاء شأنهم، قال تعالى: **يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُم وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلعِلمَ دَرَجَٰت وَٱللَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ خَبِير**[سورة المجادلة، الآية: ١١]

٣ – الصبر والمثابرة في طلب العلم، قال تعالى: **إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجرَهُم بِغَيرِ حِسَاب**[سورة الزمر، الآية: ١٠]

" لَفْظُ صَابِرٍ يُمْدَحُ بِهِ وَإِنَّمَا هُوَ لِمَنْ صَبَرَ عَنِ الْمَعَاصِي، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنَّهُ صَبَرَ عَلَى الْمُصِيبَةِ قُلْتَ صَابِرٌ عَلَى كَذَا، قَالَ النَّحَّاسُ"[الجامع لأحكام القرآن: ١٥ / ٢٤٢ .]

٤ – الحفاظ على الوقت من الضياع، واستغلاله في طلب العلم والاستزادة في طلبه، لأنَّ الوقت في الإسلام له قيمة عظيمة، وفي ضياعه ضياع للأمة، وقد نظم الله تعالى الأوقات بما يلتئم مع أحوال الناس، فالصلاة لها أوقاتها وهي موقوتة، قال تعالى: **فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا**[سورة النساء، الآية: ١٠٣]"إذا سكنت قلوبكم من الخوف، وأمنتم فأدوا الصلاة القادمة مستقيمة، كما هي حدوها في حال الأمن والاختيار، وذلك لعلة شرعية، هي أنَّ الصلاة فُرِضَتْ من أولها مؤقتة بحدود وأوقات يجب أن تراعى، وأن تُؤَدَّى في حالة الأمن وحالة الخوف في كل وقت حسبما قُدِّرَ فيهِ"[آيات الأحكام تفسير واستنباط، للمحدث الدكتور نور الدين عتر، منشورات جامعة دمشق – كلية الشريعة، (١٤٤٣ هـ –٢٠٢١ م)، ص (٢٧٩).]وكذا الزكاة فإنها تجب عند حولان الحول عليها، وكذا الحج، قال تعالى: **ٱلحَجُّ أَشهُر مَّعلُومَٰت**[سورة البقرة، الآية: ١٩٧] ، وكذا الصيام، قال تعالى: **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ أَيَّاما مَّعدُودَٰت** [سورة البقرة، الآية: ١٨٣ – ١٨٤].وبالجملة فإنَّ جملة العبادات لها أوقاتها، فإذا ضيعت الأمة تلك الواجبات ضيعها الله وأهلكها، لذا من هذا يفهم أنَّ الوقت له قيمة عظيمة في الإسلام، فعلى هذا يجب استغلاله استغلالاً عظيماً في التعلم والعلوم.

٥ – السعي المستمر في دراسة العلوم وتحصيلها، ومواكبة الدراسات المعاصرة عن طريق مشروع التعليم المستمر، وقد حقق الإسلام مشروع التعليم المستمر منذ القرون الأولى، إذ نادى علماء المسلمين بالتعليم مدى الحياة وكان ثمراته في المجتمع عظيمة، وقد تركوا ثروة أكثر من أن تحصى من المؤلفات الجليلة في جميع ألوان العلم.

٦ – العمل بالعلم، فما قيمة العلم إذ لم يأخذ دوره التطبيقي في جوانب الحياة؟ وما قيمة الإنسان عندما يفني عمره في العلم والتعلم ولم يعمل بما علم ؟.

٧ – تطبيق النظم الإسلامية، تطبيقاً علمياً، في المجتمعات الإسلامية، وبث الروح الإسلامية الحقيقية لتلك النظم، وتشتمل تطبيقات تلك النظم في الحياة الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والعلمية، والثقافية، وكل ما يتصل بالمجتمع الإسلامي وفق الشريعة السمحاء الغراء.

٨ – الاستفادة من الحضارات المتقدمة في البناء والتكنولوجيا، وإرسال البعثات من الأساتذة والطلبة المتخصصين في الجوانب العلمية البحتة.

٩ – إرساء معاني الثقافة الإسلامية في عموم المجتمع والمساهمة في تطبيقها مساهمة فعلية، ليظهر ذلك جلياً في حياة الفرد في بيته، والمجتمع في بيئته، والدولة في ترأسها للبلد.

١٠ – العمل على استنفار الجهود الجماعية في خدمة البلاد، وبث روح الوحدة الإسلامية، ونبذ الفرقة والتشتت، والعمل على نشر المفاهيم الإسلامية ومناظيرها حول العلوم، وأهميتها بما يدفع الفرد والمجتمع نحو التطوير المستمر.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الطيبة في رحاب العلم والتعلم وفضائله، فإننا نخلص إلى ما يأتي:

١ – حث القرآن الكريم والسنة المطهرة على العلم والتعلم، وكذا بيان منازل العلماء.

٢ – التدبر في العلوم والوانها واتخاذها أساسا لصناعة المجتمع وحضارته.

٣ – أبدع علماء الإسلام طيلة القرون المتقدمة في العلوم، وقد أفادت الحضارات الأخرى من تلك العلوم.

٤ – يجب على المسلمين اليوم الحرص على التعلم والحفاظ على قيمة الوقت، والوصول إلى مراحل متقدمة من العلم والثقافة والرقي.

٥ – لابد من تثقيف المجتمع الإسلامي على جميع الأصعدة.

٦ – تبين أنه لابد من مشروع يتبنى نهضة الأمة الإسلامية ويرتكز على ثوابت: على الدين الحنيف، والانصراف الى تطبيقه تطبيقاً عملياً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثبت المصادر والمراجع:-

❖احياء علوم الدين، لحجة الاسلام أبي حامد الغزالي، تحقيق علي محمد مصطفى و سعيد المحاسني، قدم له الشيخ اسعد الصاغرجي دار الفيحاء، ودار المنهل ناشرون – دمشق ط١ ٢٠٢٢. .

❖إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للإمام أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار احياء التراث العربي – بيروت ط٢، ١٤١١هـ .

❖أصول الفقه في نسيجه الجديد، مصطفى ابراهيم الزلمي (الاستاذ المتمرس في كلية الحقوق/ جامعة النهرين) ط١٠، مطبعة الخنساء بغداد.

❖آيات الاحكام ، للدكتور نور الدين عتر، منشورات جامعة دمشق – كلية الشريعة، (١٤٤٣هـ – ٢٠٢١م).

❖التعريفات للشريف الجرجاني، (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م)، دار الكتب العلمية.

❖تفسير الجلالين، جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطي، ط١، دار الحديث – القاهرة.

❖تفسير القرآن العظيم، للإمام أي الفداء إسماعيل بن عمر كثير القرش البصري، ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامي، دار طيبات للنشر والتوزيع، ط٢: (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م).

❖التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د وهبة بن مصطفى الزحيلي: دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢ ، ١٤١٨ هـ

❖تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ، دار الكلم الطيب، بيروت ، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

❖التفسير الوسيط للزحيلي: د وهبة بن مصطفى الزحيلي: دار الفكر – دمشق ، ط١– ١٤٢٢ هـ

❖ الجامع الصحيح سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي أبو عيسى، تحقيق: أحمد محمد شكري، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عوض، ط٢، (١٣٩٥هـ – ١٣٩٥هـ). (١٩٧٥ م).

❖الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي، تحقيق : احمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢ ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

❖شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ، ١٤١٠، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول.

❖صحيح الإمام البخاري، المسمع ب الجامع المسند الصحيح المختصر من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، تحقيق: محمد بن زهير ناصر الناصر، التابع الأولاء (١٤٢٢هـ)، دار طوق النجاحي.

❖ لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ): دار صادر – بيروت ، ط٣ – ١٤١٤ هـ.

❖المحرر العلمي الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للإمام أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب – بيروت، ط١ (١٤٢٢هـ).

❖مسند الامام أحمد بن حنبل، لعبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنوطي، ط١، (٢٠٠١م)، مؤسسة الرسالة.

❖معالم التنزيل في تفسير القرآن : لمحيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي : دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١ ، ١٤٢٠ هـ.

❖معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي، للشيخ عبد الله مصطفى كمال الدين النقشبندي،ط١ (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م)، المكتبة الوطنية، بغداد.

❖مفاتيح الغيب : التفسير، للإمام أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ): دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣ – ١٤٢٠ هـ

❖مقاصد الشريعة، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق محمد بن حبيب ابن الخوجة، ط٣ (١٤٣٢هـ – ٢٠١١م).

❖مقال منشور في جريدة الخليج الإماراتي، الدكتور محمد عزت عبد الموجود، وزير التربية والتعليم / لدولة الإمارات العربية المتحدة.

❖مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني، المحقق : فواز أحمد زمرلي : دار الكتاب العربي : بيروت، ط١: ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م

References

'usul alfiqh fi nasijih aljadida, du. mustafaa 'iibrahim alzalmi.1-

2- euqul aldiyn, 'abu hamid alghazaliu, tahqiq eali muhamad mustafaa, dar alfayha.'

'3- iirshad al'aeda' alsalim 'iilaa alkitaab alkarim, lil'iimam 'abu alsueud aleimadi muhamad bin muhamad bin mustafaa, dar alturath alearabii - bayrut.

4- ayat alhakm tafsir waistinbatu, lilmahdath alduktur nur aldiyn eatra, manshurat jamieat dimashq - kuliyat alsharieati, (١٤٤٣h -٢٠٢١mu.(

5- altaerifati, liealiin bin muhamad bin ealiin alsharif aljirjanii, altabeat al'uwlaa, (١٤٠٣hi - ١٩٨٣mi), dar alkutub aleilmiati.

6- tafsir almunir fi aleaqidat walsharieat walmanhaji, da. wahbat mustafaa alzuhayli, altabeat al'uwlaa (١٤١١h - ١٩٩١ma), dar alfikr - dimashqa.

altafsir alwasita, du. wahbat mustafaa alzuhaylii, altabeat al'uwlaa (١٤٢٢7- ha), dar alfikr - dimashqa.

8- aljamie li'ahkam alquran = tafsir alqurtubi, 'abu eabd allah muhamad bin 'ahmad bin 'abi bakr bin farah al'ansarii alkhazrajiu shams aldiyn alqurtubi, tahqiq 'ahmaduni, wa'iibrahim 'atfish, altabeat althaania (١٩٦٤ mi), dar alkutub almisriati.

9 - almuharir aleilmiu alwajiz fi tafsir alkitaab aleaziza, lil'iimam 'abu muhamad eabd alhaqi bin ghalib bin eabd alrahman bin tamaam bin eatiat al'andalusi almuharibi, tahqiqu: eabd alsalam eabd alshaafi muhamad, dar alkutub - bayrut, altabeat al'uwlaa (1422h).

10 - tafsir alquran aleazimi, lil'iimam 'abu alfida' 'iismaeil bin eumar kathir alqirsh albasarii thuma aldimashqi, tahqiqu: sami bin muhamad alsalamati, dar tiibat lilnashr waltawziei, altabeat althaaniati: (1420h - 1999mi).

11 - tafsir aljalalin, jalal aldiyn almahaliy wajalal aldiyn alsuyuti, altabeat al'uwlaa, dar alhadith - alqahiratu.

12- sunan altirmidhii albad' b "aljamie alkabiri", limuhamad bin eisaa bin surat bin musaa bin aldahaki, altirmidhii 'abu eisaa, tahqiqu: 'ahmad muhamad shakri, wamuhamad fuad eabd albaqi, wa'iibrahim eawad, altabeat althaania (١٣٩٥hi - ١٩٧٥mi), matbaeat bab mustafaa alhalabi - masr.

shaeb al'iimani, lilbihaqi.13-

14- sahih al'iimam albukhari, almusamaa b "aljamie almusnad alsahih almukhtasar min rasul allah salaa allah ealayh wasalam wasunanuh wa'ayaamahu, limuhamad bin 'iismaeil 'abu eabd allah aljaeafi, tahqiqu: muhamad bin zuhayr nasir alnaasir, altabeat al'uwlaa (١٤٢٢h), dar tawq alnajahi.

15- lisan alearbi, limuhamad bin makram bin eali 'abu jamal aldiyn aibn adam al'ansari alrrwifei al'afriqii, altabeat althaalithata, dar sadir - bayrut.

16- madarik altanzilat wahaqayiq altaawil = tafsir alnasfi, lil'iimam 'abu albarakat eabd allah bin 'ahmad bin mahmud hafiz aldiyn alnusfii, tahiatu: (yusif eali badiwi - muhi aldiyn dib mistu), dar klm altayib - bayrut, altabeat al'uwlaa (١٤١٩h ١٩٩٨m. (

17- altahakum 'ahmad bin hanbal, li'abu eabd allah 'ahmad bin muhamad bin hanbal bin hilal bin 'asad alshaybani, tahqiqu: shueayb al'arnawuwta, altabeat al'uwlaa (٢٠٠١mi), muasasat alrisalati.

18- maealim almaealim = tafsir albaghwi, lil'iimam eabd allah bin 'ahmad bin eali alzayda, dar alsalam lilnashr waltawzie - alrayad, altabeat al'uwlaa: (١٠٤٠hi.(
19- maealim altariq fi eamal alruwh al'iislami, du. eabd allah mustafaa, altabeat al'uwlaa, (١٤١٤h - ١٩٩٣m) baghdadu.
20- mafatih alghayb = altafsiru, lil'iimam 'abu eabd allah alkabir muhamad bin eumar bin alhasan bin alhusayn altaymi alraazi almulaqab bifakhr aldiyn alraazi khatib alrayi, dar alturath alearabii - bayrut, altabeat althaalithata: (١٤٢٠ha.(
21- maqal manshur fi jaridat alkhalij al'iimaratiati, lilduktur muhamad eizat eabd almawjudi, 'iidarayi wazir altarbiat waltaelim / lidawlat al'iimarat alearabiat almutahidati.
22- maqasid alsharieati, alshaykh muhamad altaahir bin eashur, tahqiq muhamad altaahir almisawi, altabeat althaalitha (١٤٣٢h -٢٠١١ma.(
23- manahil aleirfan fi eulum alqurani, muhamad eabd aleazim alzarqani, tahqiq aihmad bin eulay, dar alhadith - alqahiratu